

**KINSHIPS RELATION IN QURANIC
DISCOURSE. A STUDY IN AL-ZAMAKHSHARI'S
KASHAAF IN LIGHT OF MODERN LINGUISTICS**

Mohammad Ahmad Abu Eid¹

Abstract

Relying on contemporary Linguistics, this study seeks to examine descriptive and interpretive structures for a number of theories, models and linguistic concepts by examining our ability to describe and interpret kinship words in a specific language code which is Al-Zamakhshari blog which represents the reality that is taken from Arabic culture with its different language representations. The study concluded that the theories, models and linguistic concepts are able to describe the Kinship Field in Arabic as an independent field. These words are undergo in the order they are received in texts to the tribe and Gender laws. So that the social linguistic perceptions can explain many of problems which observed in the semantic field for kinship words in Arabic.

Keywords: Kinship, Qur'an, Al-Kashaaf, Linguistics, Semantics.

ArticleHistory:

Received

04/05/2019

Received in

revised form

04/05/2019

Accepted

29/06/2019

Available online

30/06/2019

¹ Prof., Full Professor/ Arabic Language Department Al-Balqa' Applied University e-mail: abueid_mohammad@yahoo.com

ألفاظ القرابة في لغة القرآن الكريم
قراءة لسانية في كشاف الزمخشري

الأستاذ الدكتور محمد أحمد أبو عيد
أستاذ/ قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة البلقاء التطبيقية

ملخص

ألفاظ القرابة في لغة القرآن الكريم، قراءة لسانية في كشاف الزمخشري

تروم هذه الدراسة تحصى ألفاظ القرابة في لغة القرآن الكريم، وذلك، وفق ما آل إليه تفسيرها في كشاف الزمخشري، وبالالتكاء على أدوات من اللسانيات المعاصرة: الاجتماعية والأنثروبولوجية والدلالية. وبالالتكاء على اللسانيات المعاصرة، فإن الدراسة تسعى لفحص الكفائيتين الوصفية والتفسيرية لعدد من النظريات والنماذج والتصورات اللسانية، وذلك بامتحان قدرتها على وصف وتفسير ألفاظ القرابة في مدونة لغوية محددة، هي المدونة الزمخشريّة، بما تمثله هذه المدونة من واقع مجتزأ من الثقافة العربية بتمثيلات اللغوية المختلفة.

وقد خلصت الدراسة إلى أن النظريات والنماذج والتصورات اللسانية قادرة على وصف الحقل القرابي في العربية بوصفه حقلاً دلاليّاً مستقلاً، وأن هذه الألفاظ تخضع في ترتيب ورودها في النصوص إلى قانونين: القبيلة والجنس.

وهكذا فإن التصورات اللسانية الاجتماعية تقدرنا على تفسير كثيرٍ من الإشكالات المرصودة في الحقل الدلالي لألفاظ القرابة في العربية.

وكانت لغة القرآن الكريم، وفق ما آل إليه تفسيرها عند الزمخشري في كشافه، هي المدونة العلمية التي استنبطت منها الدراسة نتائجها.

هذا، وانطوت الدراسة على نتائج أخرى.

الكلمات الدالة: ألفاظ القرابة، القرآن، الكشاف، اللسانيات، الدلالة.

ألفاظ القرابة في لغة القرآن الكريم، قراءة لسانية في كشاف الزمخشري

❖ فاتحة الدراسة:

ترنو هذه الدراسة إلى تفحص عدد من النظريات والنماذج والتصورات اللسانية من حيث كفايتها الوصفية والتفسيرية في الميدان اللغوي، والميدان، هنا، هو تلك المدونة التفسيرية للزمخشري بما جاءت به من تعليقات وشروح على ألفاظ القرابة المذكورة في النص الكريم، وتتنظر الدراسة لنص الزمخشري بوصفه نصاً موازياً للنص القرآني، وهما معاً أي: النص الكريم والنص الموازي، يمثلان العربية الفصحى القديمة بإحالاتها الذهنية والثقافية للقرابات.

وعليه، فإن تفحص نص الزمخشري المفسر للنص الشريف تفحص للعربية الفصحى من حيث قدرة النظريات والنماذج والتصورات اللسانية على وصف ألفاظها القرابية وتفسيرها. أما النظريات والنماذج والتصورات اللسانية التي تمتحنها الدراسة في المدونة الزمخشري فتتمثل بنظرية المكونات التشخيصية ونموذجها اللساني، ونظرية الحقول الدلالية والنموذج الأصل وما يحيل إليه من تصورات تتصل بالفكر الاجتماعي من جهة القبيلة والجنس.

❖ القرابة، مفهوماً، بين اللغة واللسانيات:

- جاء لفظ القرابة في غير موضع من النص الشريف، ومن ذلك قوله عزّ من قائل:
- "وبالوالدين إحساناً وبذي القربى" (النساء: 36)، فالقربى كل "من بينكم وبينه قربى من أخ وعم أو غيرهما" (الزمخشري، 2003: 398).
 - وكذلك قوله: "للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون" (النساء: 7)، فالأقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم (الزمخشري، 2003: 466).
 - وكذلك: "والجار ذي القربى والجار الجنب" (النساء: 36)، فالجار القريب النسب والجار الجنب الأجنبي (الزمخشري، 2003: 398).

فالقربانية، بما انطوى عليه خطاب الزمخشري، إنما تحيل على نمط من العلاقات المستندة لروابط الدم والنسب، فحسب؛ بدليل أن الأقارب عنده هم المتوارثون، وبدليل أنه ضرب مثلاً على القريب بالأخ والعم والنسب، وعلى ذلك، فإن المعنى الذي قصد إليه الزمخشري، هنا، معنى عقلي، أي هو معنى يلتبس ما هو مشترك وعمومي في الثقافات الإنسانية (الحسن، 2001: 37)، وبذا، فإن المعنى العقلي يقصي المعاني المجازية لألفاظ القربانية، كتلك المعاني التي يمكن لفظ الأخ أن يفضي إليها؛ كمثل المعنى الاجتماعي القبلي، وفق ما جاء عليه في النص الشريف: "وإلى ثمود أخاهم صالحاً" (الأعراف: 37)، وإلى عاد أخاهم هوداً" (الأعراف، 95)، "فأخوهم أي واحد منهم، من قولك: يا أبا العرب (الزمخشري، 2003: 112).

وكذلك يقصي المعنى العقلي المعاني الدينية للأخ، والذي يجيء، مثلاً، في قوله تعالى: "ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم" (البقرة، 220)، فقد "حملت المخالطة على المصاهرة" (الزمخشري، 2003: 260)، مع ما في ذلك من توسع مجازي لمعنى اللفظ.

وينصه على التوارث بين الأقارب ينأى الزمخشري بقربانية الرضاعة عن المعنى العقلي، إذ الأقارب من الرضاعة لا يتوارثون. مع أن الله عزّ وجل نزل الرضاعة منزلة النسب، حتى سمي المرضعة أمّاً للرضيع، والمراضعة أختاً، وكذلك زوج المرضعة أبوه، وأبواه جداه، وأخته عمته، وكل ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم أخوته وأخواته لأبيه، وأم المرضعة جدته، وأختها خالته، وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم أخوته لأبيه وأمه، ومن ولد لها من غيره فهم أخوته وأخواته لأمه (الزمخشري، 2003: 484).

فالنص الموازي، أعلاه، إذ يجعل القربانية بالرضاعة نمطاً من الأنماط القربانية، فإنه لا يغفل عن أن ذلك النمط خصوصية ثقافية عربية وإسلامية لا يمكن تعميمها على اللغات والثقافات الإنسانية، وبذا فإن المعاني المقصودة من قربانية الرضاعة هي معاني اجتماعية وثقافية حافة، وليست معاني عقلية متفق عليها بين اللغات، وعليه، جاء إقصاء الزمخشري لها مما يقصده من معاني بقوله: إن الأقارب متوارثون.

إن ما قصده الزمخشري من معنى عقلي للقربانية هو ما جاءت به معجمات اللغة في شرحها لمفردة "القربانية"، إذ هي محددة بدنو النسب وقربى الرحم (الزبيدي، 1987: قرب).

وهو ما جاءت به فهوم اللسانيين الاجتماعيين من اصطلاحهم "Kinship Terminology"، فالعلاقات القربانية عندهم لا تخرج عن المعنى العقلي، إذ هي مؤطرة بعلاقات الدم والنسب (هدسن، 1987: 154).

❖ التصور القرابي عبر الثقافات:

يرتبط التصور القرابي في الثقافات بالمجموعات السنية (age) والأدوار الجنسية (sex) (لوكمان، 1987: 70)، فألفاظ القرابة ظلت تطلق على عديد من روابط الدم والنسب، ويرى هدرسن "Hudson" أن التخالفات بين اللغات في إحالاتها للقرابات تظل ضئيلة في مستوى الألفاظ العامة، لكنها تشرع في الاتساع، كلما أمعنا النظر في ما يشتق من هذه الألفاظ العامة (هدسن، 1987: 157-158). إن التكلم عن ألفاظ القرابة في اللغة والثقافة يتصل بالتكلم عن النسبية اللغوية والثقافية التي رسخها وورف وساير في مطلع القرن المنصرم (غلفان، 2010: 55). فالعموميات اللغوية والثقافية، أو ما يمكن لنا أن نطلق عليه: "النحو اللغوي الثقافي الكوني" لا يمكن له أن يتجاوز ما بين اللغات والثقافات من تباينات نسبية، تحاول الدراسة الكشف عن بعضها في ما يقدم من ورقات. على أن تلك النسبية اللغوية والثقافية لا تأتي أمثلتها من المعاني العقلية وحدها، بل من المعاني المجازية والاجتماعية وغيرها.

فمن النسبية اللغوية والثقافية أن يؤشر لفظ "uncle" في الإنجليزية على أخ الأب وأخ الأم، في حين إن العربية ولغة النجمال "Nijmal" * ترفضان تلك الدلالة المزدوجة (هدسن، 1987: 155) باعتبار أن القرابات في هاتين اللغتين تقوم على نموذج أصل يفصل بين أقارب الأب وأقارب الأم (هدسن، 1987: 158). وفي لغة السيمينولا *** "Seminole" ولغة جزر التروبيراند *** ثمة ألفاظ قرابية تؤشر على العلاقات الآتية (هدسن، 1987: 154-155):

- ابن أخ أم الأب (ابن خالة الأب).
- ابن بنت أخت الأب (ابن بنت العمّة).
- ابن أخ أب الأب (ابن أخ الجد).
- ابن ابن أخت أب الأب (حفيد عمّة الأب).

* لغة النجمال هي إحدى لغات السكان الأصليين في أستراليا (هدسن، ص158).

** السيمينولا قبائل تقطن في فلوريدا وأكلاهوما (هدسن، ص154-158).

*** التروبيراند لغة مواطني جزر التروبيراند شرق غينيا الجديدة (هدسن، ص154-158).

وفي المقابل فإننا لا نعثر في كثير من اللغات ومنها العربية على ما يوازي تلك الألفاظ في هاتين اللغتين.

❖ ألفاظ القرابة في الدرس اللساني:

تتناول الألفاظ القرابية بالدرس علوم ومعارف شتى، منها ما هو ليس بلساني كعلم الثقافة "Culturology" (بشر، 1995: 76) وعلم النفس (هدسن، 1987: 154) والأنثروبولوجيا (لوكمان، 1987: 69)، ومنها ما هو لساني كاللسانيات الاجتماعية (أبو عيد، 2010: 234) والأنثروبولوجية (شتا، 1998: 182) بالإضافة للسانيات النظرية (سعيد، 2002: 47).

أما اللسانيات الأنثروبولوجية فمن أظهر ما طرحته في مقارنتها للحقل القرابي ما يعرف بالنموذج الأصل "prototype"، وهو نموذج طرحه اللساني "Floyd Lounsbury"، قصد منه إيضاح كثير من المفاهيم، باعتبار أن التخوم بين المفاهيم تظل مبهمة "Fuzzy"؛ فالفاكهة غالباً ما تؤكل حلوى أو بين الوجبات، وتكون حلوة المذاق وتنمو على الأشجار والشجيرات، أما الخضروات فتؤكل مع اللحوم وتنمو على الأرض أو تحتها، وهي لذيذة المذاق والرائحة، وعلى ذلك، فالتفاح نموذج أصل للفاكهة، والكرنب نموذج أصل للخضروات، وبرغم ذلك تحار الثقافات في نسبة الطماطم إلى أي من النموذجين (هدسن، 1987: 140).

وفي القرابات نمثل على النموذج الأصل بما تجيء عليه لغة النجمال "Nijmal" من قواعد لاشتقاق الألفاظ القرابية، من الأب والأم، اللذين لا مناص لهما من أن ينتسبا لفخذين مختلفين، وبذلك فإن اشتقاق الألفاظ القرابية في هذه الثقافة يعتمد على ما إذا كان اللفظ المشتق ينتسب لنموذج الأب أو لنموذج الأم، فالألفاظ المشتقة من نموذج الأب تؤثر على الانتساب القبلي لفخذ الأب، أما الألفاظ المشتقة من نموذج الأم فتدل على الانتساب لفخذ الأم، وعلى ذلك فإن أخت الأب سيشار إليها بلفظ مختلف عن أخت الأم، لأن الفخذ الذي تنتسب إليه أخت الأب مغاير لذلك الفخذ الذي تنتسب إليه أخت الأم (هدسن، 1987: 158). ويمكن لنا أن نحمل النموذجين القرابين للأب والأم في لغة النجمال "Nijmal" على النماذج الأصول في العربية، مع إسقاط شرط الانتساب لفخذين مختلفين لكل من الأب والأم، فإذا كانت لغة النجمال تقيم هذا الفصل بين أقارب الأب وأقارب الأم بناءً على اختلاف القبيلة، فإن العربية تقيمه بناءً على اختلاف الجندر، وهكذا، فإن النموذج الأصل للأب في العربية مغاير للنموذج الأصل للأم، وهكذا تتغاير كل الألفاظ القرابية المشتقة منهما، كما في العم الذي يقابل الخال وبنيت العم التي تقابل بنت الخال.

من جانب آخر، يمكن لنا الزعم بأن النموذج الأصل إذ اعتمد على الجندر وحده، فإن ما يشق من النموذجين يعتمد على الجندر والقبيلة معاً، وسيأتي بيان ذلك.

أما اللسانيات الاجتماعية فالبنية اللغوية، وفقها، بيئة اجتماعية تعكس ما هو سائد في المجتمع الكلامي من أفكار وتصورات (لويس، 1959: 165-166)، ولذا تجيء العناية عند اللسانيين الاجتماعيين بالأسرة الأمومية والأسرة الأبوية (البطريكية)، نظراً لما لهذا الفصل بين المفهومين من أثر في التفريق بين المجتمعات البشرية (شنا، 1998: 182) وما تنطق به من كلام.

فألفاظ العم والعمة والخال والخالة ما كان لها أن تجيء على هذا النحو لولا الذهنية الاجتماعية السائدة في مجتمع بعينه، إذ الألفاظ اللغوية، هنا، لا تعكس إلا فكراً اجتماعياً وثقافة سائدة تقوم على التمييز بين الأدوار المجتمعية والثقافية المسندة لكل من الرجل والمرأة.

وتلقى الألفاظ القرابية عناية اللسانيين النظريين في درسه للمعجم والدلالة، ومن ذلك ما نجده في نظرية الحقول الدلالية، التي تجعل الألفاظ اللغوية موزعة على بنى دلالية، كل بنية تتوفر على مجموعة من الألفاظ المحكومة بمجموعة من العلاقات الدلالية (سعيد، 2002: 47)، هي علاقات الترادف والاشتغال والجزء بالكل والتضاد والتناظر (سعيد، 2002: 48).

وبذا يمكن للألفاظ القرابية أن تكون حقلاً دلالياً مستقلاً محكوماً بهذه العلاقات، فألفاظ الأب والأم والابن والبنت والأخت والعم والخال والعمة والخالة ألفاظ تخص البشر، وتخص من يتصل بالآخر عن طريق الدم والمصاهرة (عمر، 2009: 123).

وإذا ما سعى المرء لبيان الخصائص التكوينية للفظ "الأب" مثلاً فإنه سيقف على الخصائص التمييزية أو الفارقة للأب عن غيره من الألفاظ القرابية في الحقل الدلالي الواحد (عمر، 2009: 123-124).

وهكذا يمكن لنا أن نربط الحقل الدلالي بالخصائص التشخيصية أو الملامح التمييزية الدلالية، فالناظر في الألفاظ القرابية، وفق هذه النظرية، يلتفت للخصائص الأساسية المميزة للفظ القرابي "Criterial Features"، ويعرض عن الخصائص الثانوية "Supplementary" من مثل العناية والعطف والحب وتحمل المسؤولية، يقول بلومفيلد: "إننا معنيون بالفصل بين الملامح غير التمييزية Non distinctive للشيء مثل الحجم والشكل واللون واللامح التمييزية Distinctive للشيء ذاته" (عمر، 2009: 124).

فالأب يتباين مع الأم في أن الأب ذكر والأم أنثى، والأب والأم يتباينان مع الابن في الانتماء لجيل مختلف رغم اتحاد الجنس مع الأب، والأب والعم يشتركان في الجنس والجيل ويختلفان في درجة الاتصال القرابي،

- إذ الأب ذو اتصال مباشر وأما العم فيتصل بخطوة، وبهذا نحدد الملامح التمييزية للأب على النحو الآتي(عمر، 2009: 123-124):
- ذكر (من ناحية الجنس).
 - جيل تال (فوق الذات).
 - ذو اتصال قرابي مباشر (مع الذات).
 - يتصل بقرابة الدم (من ناحية نوع القرابة).

وعليه، يقترح اللسانيون الاجتماعيون نموذجاً محكماً لتصنيف الألفاظ القرابية، وفق نظرية المكونات التشخيصية أو الملامح التمييزية(عمر، 2009: 123)، وهو النموذج، أدناه، والمرفوق بالعدد "1":

المكونات التشخيصية		أب	أم	عم	أخ	ابن العم	حمو
الجنس	ذكر (ذ)	ذ	ث	ذ	ذ	ذ	ذ
	أنثى (ث)						
الجيل	1 +	1 +	1 +	1 +	1	1	1 +
	نفسه (1)						
	1 -						
الاتصال	مباشر (م)	م	م	1 +	1+	2 +	1 +
	1 +						
	2 +						
قرابة	دم (د)	د	د	د	د	د	ص
	مصاهرة (ص)						

جدول رقم "1"

تالياً، تختبر الدراسة النظريات والنماذج والتصورات المتصلة بدرس الألفاظ القرابية في اللسانيات المعاصرة، لتكشف عن كفايتها الوصفية والتفسيرية في ميدان لغوي محدد هو العربية الفصحى القرآنية، وفي مدونة لغوية تفسيرية موازية للنص الشريف، هي مدونة الكشاف الزمخشري.

* أَلْفَاظُ الْقَرَابَةِ فِي لُغَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

- انطوت اللغة القرآنية على عدد من الألفاظ القرابية الموزعة على محورين رئيسيين:
- الألفاظ الدالة على وحدات قرابية مفردة، كالأب والأم والعم والخالة... .
- الألفاظ الدالة على وحدات قرابية جمعية، كالعشيرة والسبط والآل والأهل.

في ما يقدم من صفحات نعرض لهذه الألفاظ، وفق ما جاءت عليه في النص الشريف، ووفق ما آل إليه تفسيرها في نص الزمخشري.

- أَلْفَاظُ الْقَرَابَةِ الْمَفْرَدَةِ:

▪ الأب:

جاء "الأب" في القرآن الكريم بدلالات متعددة، أظهرها:

- الأب (البيولوجي):
وذلك، كما في قوله تعالى: "وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ" (القصص: 23).
وقوله: "وَاعْفُورٌ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ" (الشعراء: 86).
وقوله: "وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ" (يوسف: 16).

- العم:

وبهذه الدلالة، جاء في قوله تعالى: "قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا" (البقرة: 133)، قال الزمخشري: "جعل إسماعيل، وهو عمه، من جملة آبائه، لأن العم أب والخالة أم، لانخراطهما في سلك واحد، وهو الأخوة، لا تفاوت بينهما (الزمخشري، 2003: 192).
إن ما جاء في النصين القرآني والتفسيري، هنا، يعود بنا إلى الخصائص التمييزية، فالنصان التقنا إلى ما يجمع بين الأب والعم من خصائص الذكورة والجيل الواحد والدم، وبذلك تغلبت تلك الملامح على ملمح وحيد غير مشترك، هو الاتصال القرابي، إذ الأب يتصل مباشرة، والعم يتصل بخطوة.
ومن الجدير ذكره أنّ في الأحاديث النبوية الشريفة ما يعضد هذا التصور القرآني للعم، ومنه قوله (ص):
"عم الرجل صنو أبيه"، قال الزمخشري: أي لا تفاوت بينهما، كما لا تفاوت بين صنوي النخلة، وقال (ص)

في العباس: "هذا بقية آبائي" وقال فيه، أيضاً: "ردوا علي أبي، فإني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود" (الزمخشري، 2003: 192).

- الجد:

وترد الدلالة على الجد باللفظ "أب" في بعض من الآيات الكريمة، وذلك، كما في قوله تعالى: "كَمَا أْتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ" (يوسف: 6) فالمراد بالأبوين، هنا، الجد وأبو الجد، "لأنهما في حكم الأب في الأصالة، ومن ثم، يقولون ابن فلان وإن كان بينه وبين فلان عدة" (الزمخشري، 2003: 428).

ومن ذلك قوله تعالى: "وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ" (الأنعام: 91)، وقوله: "قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا" (المائدة: 104).

وكرة أخرى، فإن لغة القرآن بعدها الجد أباً، إنما تلتفت للخصائص التمييزية المشتركة بين الأب والجد، والمتمثلة بالذكورة وانتمائهما لجيل تالٍ وقرابة الدم، وهي في ذلك، تغض الطرف عن خصيصة واحدة غير مشتركة، هي الاتصال، فمع الأب يكون الاتصال مباشراً، في حين يكون الاتصال مع الجد اتصالاً بخطوة.

- الأم:

ولا يدل "الأب" على الأم إلا إذا دلَّ على الأب والأم، معاً، كما في قوله تعالى: "فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ" (النساء: 11)، وكما في قوله عز وجل: "يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ" (الأعراف: 27)، وكما في قوله تعالى: "فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ" (يوسف: 99).
إن دلالة "الأب" على الأم تقع بسبب من تغليب التنكير على التأنيث؛ إذ التنكير، وفق طروحات اللغويين القدماء، الأصل، وما التأنيث إلا فرع عليه، ومشتق منه (سيبويه: 413)، وعليه، يجيء الازدواج الدلالي، ثمة، تأكيداً على تبعية الأنثى للذكر في اللغة والخطاب (الغدامي، 1997: 11-12).

من جانب آخر، فإن ما يجمع بين الأب والأم من خصائص مشتركة أو مكونات تشخيصية أكبر مما يفرق بينهما، فإذا كان "الأب" و"الأم" افترقا في الذكورة والأنوثة، فقد اشتركا في الجيل والاتصال المباشر وقرابة الدم.

هذا، ويتقاطع مع اللفظ "أب"، في دلالاته، لفظ قرابي آخر، هو: "الوالد"، إذ يرد اللفظ في النص الشريف دالاً على الأب والأم، كما في قوله تعالى: "رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ" (إبراهيم: 41)، وذلك، بغض

الطرف وصرف النظر عن أن يحيل "الوالدان" لأبوي إبراهيم أو لآدم وحواء عليهم السلام، جميعاً (الزمخشري، 2003: 540).

ومن ذلك: "وَإِخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَاَلِدِهِ" (لقمان: 33). على أن "الوالد" ينطوي على ازدواج دلالي مغاير لتلك الدلالة في لفظ "الأب"، فاللفظ مذكر من الناحية الصرفية، لكن دلالاته المعجمية "ولد" تتصل بالأنوثة وخصائصها.

- الخالة:

ويرد الأب دالاً على الخالة في ما كشف عنه الزمخشري من تفسير لقوله تعالى: " فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوِيهِ " (يوسف: 99)، فالدلالة الأخرى للأب قد لا تكون على الأم، بل هي على الخالة؛ إذ ماتت "أم يوسف"، فتزوج أبوه من أخرى، وعلى ذلك، تكون الخالة أبا، لأن الرابطة تدعى أما لقيامها مقام الأم، ولأن الخالة أم، كما أن العم أب (الزمخشري، 2003: 485).

إن ما بسط، أعلاه، يكشف عن أن الزمخشري غَضَّ الطرف عما بين الأب والخالة من تخالف في الخصائص الأساسية (المكونات التشخيصية)، وراح يذكر تلك الخصائص الثانوية التي لا يلتفت إليها اللسانيون في تحليل الألفاظ القرابية، بوصفها مكونات غير تشخيصية (عمر، 2009: 124)، ولعل ما جعل الرجل يذهب ذاك المذهب تَحَفُّزُهُ لإيجاد التفسير اللغوي لكل الروايات الموقوف عليها. إن تبعية الخالة للأب، هنا، تتصل، وثيقاً، بتبعية الأم للأب جنديراً، والجدول أدناه، يظهر الخصائص المشتركة بين الأم والخالة والتي جعلت من الخالة أبا في النصين القرآني والموازي.

خالة	أم	جد	عم	أب بيولوجي	المكونات التشخيصية	
					الجنس	الجيل
ث	ث	ذ	ذ	ذ	(ذ)	الجنس
					(ث)	
					1 +	
1 +	1 +	1 +	1 +	1 +	نفسه	الجيل
					1 -	
					(م)	
1 +	م	1 +	1 +	م	1 +	الاتصال
					2 +	
					دم (د)	
د	د	د	د	د	دم (د)	قراية

						مصاهرة (ص)
--	--	--	--	--	--	------------

جدول رقم (2)

فنظرة عجلى يلقبها المرء على الجدول ذي الرقم "2"، تكشف عن أن الدلالات المتباينة للأب، وإن تباعدت، إلا أن ما بينها من مشترك كبير، إن دلالة الأب على غير معنى قرابي يجيء هنا من باب الاشتغال اللغوي وهي علاقة دلالية تربط اللفظ بمعانيه. في حين إن العلاقة بين "الأب" و"الوالد" هي علاقة مترادف، إذ تعدد الدالات لمداول واحد، وأما دلالة الأب على الأم والخالة فتجيب علاقة تضاد، إذ الدال اللغوي يؤشر على معنيين متضادين.

■ الأم:

ويجيب لفظها في النص الشريف بدلالات متعددة، لعل أظهرها:

- الأم "البيولوجية": وهي ما يقصده الخطاب القرآني بقوله تعالى: "وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ" (النحل: 78).

ومن ذلك قوله تعالى: "وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ" (المائدة: 75)، إذ قصد بها مريم عليها السلام (الزمخشري، 2003: 651)، وقصدها (الزمخشري، 2003: 679) في قوله: "أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي الْهَيْبِينَ" (المائدة: 116)، ومنه قوله: "فَلِأَمِّهِ التُّلْتُ" (النساء: 11)، وهي دلالة توجزها الآية الكريمة: "إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَوَلَدَتْهُمْ" (المجادلة: 2).

ويتقاطع مع "الأم" في الدلالة "الوالدة"، كما في قوله عز من قائل: "لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا" (البقرة: 233)، وقوله: "أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ" (المائدة: 110)، وقوله: "وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ" (البقرة: 233)، وعليه، يكون اللفظان "الأم" و"الوالدة" في السياقات السالفة الذكر لفظين مترادفين.

- الزوجة: لا تدل "الأم" على الزوجة إلا في موطن الإشارة إلى زوجات الرسول الأعظم محمد (ص)، وذلك، كما في قوله تعالى: "وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ" (الأحزاب: 6)، وتتصدى الدراسة الحالية لهذا الاستعمال القرآني في موضع التكلم عن أفاظ القرابة الخاصة بالزوجة.

لقد جاءت دلالات "الأم" محصورة في الأم والوالدة وأمهاة المؤمنين، وهو حصر قول بطيف من الدلالات للفظ "الأب"، وهو ما يذكرنا، كرة أخرى، بما سبق أن بسطناه في موضع سابق من الدراسة الحالية، من أصلية التذكير وفرعية التأنيث، وهو ما يعود بنا، أيضاً، إلى ما تكلم عنه اللسانيون

الاجتماعيون من فصل بين الأمومية والأبوية (شتا، 1998: 182). وفي ذلك بيان للعقلية الذكورية التي تحكمت بالإنتاجات اللغوية للعربية الفصحى، والتي جاء النص الشريف محتكماً لقواعدها اللغوية والاجتماعية.

أما العلاقات التي ربطت اللفظ (الأم) بدلالاته فمتباينة؛ فعلاقة الاشتمال ربطت بين "الوالدين" والدلالة على الأب والأم، وعلاقة الترادف ربطت بين الأم والوالدة، في حين إن التنافر هو ما ربط بين الأم والزوجة، وذلك في حالة فريدة، هي دلالة الأم على زوجات النبي (ص).

■ الأخ:

وللفظ غير دلالة، منها:

- الأخ البيولوجي: وعرف بأنه: "من جمعه مع الآخر صلب أو بطن أو كلاهما" (أنيس، 1960: أخ)، كما في قوله عز وجل: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ " (التوبة: 23)، إذ قصد به الأخ من الأب والأم أو من أحدهما (الزمخشري، 2003: 248)، وهو كذلك، في قوله: "لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلسَّائِلِينَ " (يوسف: 7)، وفي قوله: " وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ " (الأعراف: 142)، إذ هارون أخوه (الزمخشري، 2003: 609).

واشترك مع "الأخ" في الدلالة عينها لفظ آخر هو: "ابن أم"، وذلك في قوله تعالى، على لسان موسى (ع): " وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ " (الأعراف: 150)، فقد كان أخاه لأبيه وأمه، فإن صح، فإنما أضافه إلى الأم، إشارة إلى أنهما من بطن واحد، وذلك أدعى إلى العطف والرقّة وأعظم للحق الواجب، ولأنها كانت مؤمنة فاعتد بنسبتها، لأنها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد، فذكره بحقها (الزمخشري، 2003: 155)، إن ما التفت إليه الزمخشري من ملامح غير تمييزية للأخ، يعود بنا إلى ما سبق وأوضحناه من فصل اللسانيين الاجتماعيين بين ما هو تمييزي وما هو ليس كذلك من الخصائص، والزمخشري، إذ يلتفت لتلك الخصائص غير التمييزية، فإنه يلتفت إليها قاصداً تلك المعاني الحافة أو ما يعرف بالمعنى الفائض الذي يشتمل عليه "الأخ".

ولعل الجدول، أدناه، والمرفوم بالعدد "3"، يكشف عن خصائص "الأخ" التمييزية، وهي خصائص تجعل المعنى العقلي للأخ مغايراً لغيره:

الأخ البيولوجي	المكونات التشخيصية	
ذ	ذكر (ذ)	الجنس
	أنثى (ث)	
1	1 +	الجيل
	1	
	1 -	
م	(م)	الاتصال
	1 +	
	2 +	
د	دم (د)	قراية
	مصاهرة (ص)	

جدول رقم (3)

▪ الأخت: ودلالاتها كدلالة الأخ، فهي تدل على:

- الأخت (البيولوجية): كقوله تعالى: " وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ " (النساء: 12)، وقوله: " إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ " (طه: 40)، وقوله: " يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا " (مريم: 28)، فهارون أخوها من أبيها، وفق إحدى التفسيرات (الزمخشري، 2003: 14).

▪ الابن:

ويدل على:

- الابن (البيولوجي): ويمثله قوله تعالى: " الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ " (النساء: 23).

ومما ورد على هذا المعنى، قوله تعالى: " وَأَذِ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ" (لقمان: 13)، وقوله: "وَأْتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ" (المائدة: 27)، فالابن في الآيتين الكريمتين لفظ ذكوري، وهو المقصود، أيضاً، بقوله: " سَنُقْتَلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ" (الأعراف: 127)، فالقتل للذكور من الأبناء (الزمخشري، 2003: 138).

ودلّ "الابن" على الذكر والأنثى، في قوله عز وجل: " زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ" (آل عمران: 14)، وفي قوله: " الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ" (الأنعام: 20)، وقوله: " يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ" (البقرة: 47)؛ ودلالة اللفظ على الذكر والأنثى من الأبناء يجعله مثلاً على الاشتمال.

▪ الابنة:

وجاءت في قوله تعالى: " وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ (التحریم: 12)، وجاءت بصيغة الجمع في قوله تعالى: " أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (الصافات: 153)، وفي قوله: " حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ " (النساء: 23)، ومن مرادفاتنا "النساء"، كما في قوله تعالى: " سَنُقَلِّبُ أَبْنَاَهُمْ وَنَنسَخِي نِسَاءَهُمْ " (الأعراف: 127)، فالإناث من الأبناء لن يقتلن (الزمخشري، 2003: 138).

ومن مرادفات الابن والابنة "الولد"، كما في قوله تعالى: " لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا " (البقرة: 233)، وكما في قوله: " إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ (النساء: 176)، إذ "الولد" يقع على الذكر والأنثى (الزمخشري، 2003: 586)، وتقع على الأنثى وحدها، كما في قوله: " قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا (الأنعام: 140)، فالآية الكريمة، نزلت في ربيعة ومضر، وهم من وأدوا بناتهم مخافة السبي والفقر (الزمخشري، 2003: 69).

ومن المرادفات: "المولود"، وجاء في قوله: " وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَن وَالِدِهِ " (لقمان: 33).

- الابن بالتبني:

ولم يرد النص على ذلك، لفظاً، لكنه متضمن في قوله: " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ (الأحزاب: 40)، وفي قوله أيضاً عن الأبناء الحقيقيين: " الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ " (النساء: 23)، فصلاً لهم عن ليسوا كذلك، قال الزمخشري: "المقصود بهم أنهم دون من تبنيتم" (الزمخشري، 2003: 486)، وفي مواطن أخرى أطلق على الابن بالتبني: "الدعي"، قال تعالى: " وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ " (الأحزاب: 4)، فلا بنوة ودعوة في رجل (الزمخشري، 2003: 505)، ولعل ذلك ما يفسر تسمية أولئك بالأدعياء، كما في قوله تعالى: " ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ " (الأحزاب: 5).

- الابن الربيب والابنة الربيبة:

وجاء ذكر الابنة الربيبة، في قوله: " وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ " (النساء: 23)، ومنه اشتق الربيب، ليدل على الابن الذكر؛ قال الزمخشري: "سمي ولد المرأة من غير زوجها ربيباً وربيبية، لأنه يربهما كما يرب ولد في غالب الأمر، ثم اتسع فيه فسمياً بذلك، وإن لم يربهما" (الزمخشري، 2003: 485).

▪ الحفيد:

كما في قوله تعالى: " وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً" (النحل: 72).

ويظهر الجدول، أدناه، والمرفوق بالعدد (4) الخصائص الفارقة بين الابن والحفيد:

الحفيد		الابن		المكونات التشخيصية	
ث	ذ	ث	ذ	ذ	الجنس
				ث	
1 -		1 -		1 +	الجيل
				1	
				1 -	
2 +		1 +		م	الاتصال
				1 +	
				2 +	
د		د		دم (د)	قربة
				مصاهرة (ص)	

جدول رقم (4)

وعلى ذلك، فالملمح التمييزي بينهما يكمن في درجة الاتصال وحدها، إذ الاتصال بالابن أقرب بدرجة من الحفيد.

▪ الزوج: وجاء بهذا اللفظ دالاً على الزوج والزوجة، أما "الزوجة"، فكما في قوله: "وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة" (البقرة: 35)، وقوله: "وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ" (النساء: 20)، وقوله: "فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ" (البقرة: 102)، ومن المواضع التي دل فيها اللفظ على الرجل قوله تعالى: "حَتَّى تَتَّخِجَ زَوْجًا غَيْرَهُ" (البقرة: 230)، واللفظ بهذه الدلالة المزدوجة إنما يقع ضمن علاقات الاشتمال، وأما الترادف فتمثله ألفاظ من مثل:

- الامرأة، كما في قوله تعالى: "إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ" (آل عمران: 35)، وقوله: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ" (التحریم: 10)، وقوله: "وَامْرَأَتُهُ قَانِمَةٌ" (هود: 71).
- النساء، ويدل على الزوجات بصيغة الجمع، كقوله تعالى: "أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ" (البقرة: 187)، وكقوله: "وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ" (النساء: 15).

- الأهل، وذلك كقوله: " فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ " (الذاريات: 26)، وكقوله: " مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا " (يوسف: 25)، وكقوله: " إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ " (النحل: 7)، فقد "روي أنه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته، وقد كنى الله عنها بالأهل" (الزمخشري، 2003: 338).

- صاحبة:

كما في قوله تعالى: " وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ " (المعارج: 12)، وقوله: " مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا " (الجن: 3).

- البعل:

ويدل "البعل" على الزوج "الرجل"، كما في قوله تعالى: " وَيُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ " (البقرة: 228)، وفي قوله: " وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا " (هود: 72)، وفي قوله: " وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ " (النور: 31).

- السيد:

ويدل على الزوج الرجل، ويمثله قوله عز من قائل: " وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَىٰ الْبَابِ " (يوسف: 25)، قال الزمخشري: "صادفا بعلمها وهو قطفير، تقول المرأة لبعلمها: سيدي" (الزمخشري، 2003: 441).

- الحليلة: جاء في المعجم الوسيط: "الحليل ضد الحرام وحليل الرجل وزوجه وحليل المرأة زوجها" (أنيس، 1960: الحليلة)، وجاء اللفظ في الكتاب العزيز، ليدل على الحليلة المرأة، كما في قوله تعالى: " وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ " (النساء: 23).

- الأم:

جاءت دلالة الزوجة على الأم في قوله تعالى: " وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ " (الأحزاب: 6)، "تشبيهاً لهن بالأمهات في بعض الأحكام، وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن" (الزمخشري، 2003: 508).

وعليه، فإن النص الشريف أخذ بعين الاعتبار الخصائص الثانوية المشتركة بين زوجات الرسول وأمهات المؤمنين، وغض الطرف عما بين الأمهات والزوجات من خصائص أساسية فارقة، وذلك، وفق ما يكشف عنه الجدول أدناه، والمرفوق بالعدد "5".

الزوجة	الأم	المكونات التشخيصية	
		(ذ)	الجنس
ث	ث	(ث)	

1	1 +	1 +	الجيل
		1	
		1 -	
م	م	(م)	الاتصال
		1 +	
		2 +	
ص	د	دم (د)	قربة
		مصاهرة (ص)	

جدول رقم (5)

وإذا كان الجدول، أعلاه، يؤشر على حالة من التوازي في الخصائص التمييزية أو المكونات التشخيصية، فإن اللغة القرآنية مالت لما بين الزوجة والأم من مكونات تشخيصية واحدة، تمثلت في الجنس والاتصال، مُدَجِّجاً تلك المكونات بخصائص أخرى ثانوية، ذكرت، أعلاه، ليفوق التماثلُ التخالفَ في موضع التكلم عن زوجات الرسول الأعظم (ص).

على أية حال، فإن دلالة الأم على الزوجة، وإن جاءت في سياق مخصوص، إلا أن ما يربط اللفظين معاً: "الأم" و"الزوجة" علاقة تنافر. وذلك بخلاف علاقة الترادف التي تربط بقية الألفاظ الدالة على الزوج، كما في "الصاحبة" و"الحليلة" و"الأهل" و"الإمرأة" و"النساء"، وكما في "البعل" و"السيد".

• مصطلحات قرابية أخرى:

- اشتمل النص الشريف على بعض من ألفاظ القرابة المفردة الدالة على قرابات من الدائرة الثانية أو الثالثة، أو مما يطلق عليه اللسانيون المعاصرون: الاتصال القرابي بخطوة أو بخطوتين (عمر، 2009: 124)، وذلك كما في قوله، عز من قائل:
- " حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ " (النساء: 23).
- " لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخْوَاتِهِنَّ " (الأحزاب: 55).
- " وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ " (الأحزاب: 50).
- " أَوْ بِيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بِيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بِيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بِيُوتِ خَالَاتِكُمْ " (النور: 61).
- " وَلَا يُبَدِّلَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخْوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ " (النور: 31).

- والنصوص، أعلاه، تنطوي على ألفاظ قرابية، لم يأت البحث على ذكرها في ما سلف، كما في العمة والخالة وبنات الأخ وبنات الأخت وأمّهات النساء وابن الأخ وابن الأخت وبنات العم وبنات العمة وبنات الخال وبنات الخالة والخال وأبو الزوج.
- إن نظرة فاحصة في تلك الألفاظ، وفق ما جاءت عليه في لغة القرآن الكريم؛ تكشف عما هو آت:
- تتوزع هذه الألفاظ، وفق الاتصال القرابي على محورين:
- أ- محور الاتصال بخطوة، كما في: "العمة والخالة وأم الزوج وأبو الزوجة والخال.
- ب- محور الاتصال بخطوتين: كما في: بنت العم وبنات العمة وبنات الخال وبنات الخالة وبنات الأخ وبنات الأخت وابن الأخ وابن الأخت.
- يجيء الترتيب لهذه الألفاظ القرابية في النص الشريف، وفقاً لما تكلم عنه النحاة من أصلية التنكير وفرعية التأنيث، فالذكر يأتي للعم قبل الخال والعمة قبل الخالة وبنات العم قبل بنت الخال؛ وكذا، فبنات الأخ قبل بنت الأخت وبنات العم قبل بنت العمة وبنات الخال قبل بنت الخالة.

- ويجيء الترتيب أيضاً، وفقاً للنظام القبلي المتحكم بالمجتمع؛ فأقارب الأب يذكرون، أولاً، قبل أقارب الأم، وعلى هذا النحو جاء الذكر للعممة قبل الخال، ولبنات العممة قبل بنات الخال، وهكذا حتى يمكن القول إن القربات ترتب في دنوها من الشخص وفق معيارين؛ الأول منهما القبلية، والثاني الجندر، وللقبيلة أولوية على الجندر، كما في ذكر العممة قبل الخال، وكما في بقية الألفاظ القرابية.
- يفصل الخطاب الكريم فصلاً حاسماً بين أقارب الأب وأقارب الأم، وذلك في حالة تتخالف فيها العربية وبنى لغوية أخرى، لا تعمل وفق ذلك الفصل، كما هو الأمر في اللغات الهندوأوروبية (هدسن، 1987: 158). وهو ما يجعل الأب في الخطاب القرآني وفي اللغة العربية نموذجاً أصلاً (prototype) يتخالف وذلك النموذج الأصل للأب.
- تتوزع العلاقات الدلالية في هذا المستوى من الألفاظ على محورين:
 - * علاقة الجزء بالكل: كما في العلاقة الدلالية بين ابن الأخ والأخ وابن العم والعم، وكما في العلاقة بين بنت الأخت والأخت وبنت الخالة والخالة.
 - * علاقة التضاد: من مثل العلاقة بين ابن العم وابن الخال وبنت العم وبنت الخالة والعم والخال كذلك.

▪ ألفاظ القرابة الجمعية:

وهي ألفاظ تدل على أطر تضم ما سبق من ألفاظ قرابية مفردة، ومن ذلك:

- الذرية: وهو لفظ قرابي محض، يدل على النسل والسلسلة القرابية، كما في قوله: " ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ " (آل عمران: 34)، وكما في قوله: " وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ " (الأنعام: 87)، وقوله: " جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ " (الرعد: 23).
- ويجاء النص على "الذرية"، في كشاف الزمخشري في غير موقع تفسيري، من ذلك تكلمه عن الأسباط أنهم: "حفدة يعقوب ذراري أبنائه" (الزمخشري، 2003: 194).
- وفي موقع تفسيره لقوله تعالى: " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ " (الأعراف: 172)، قال الزمخشري: "من أصلابهم نسلًا" (الزمخشري، 2003: 169)، وفي موقع تفسيري آخر ينص الرجل على أن الذرية هم الأولاد والأحفاد (الزمخشري، 2003: 194).

السيبط:

كما في قوله تعالى: " وَقَطَعْنَا لَهُمْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا " (الأعراف: 160)، "فالأسباط": أولاد الولد جمع سبط، وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولداً من ولد يعقوب عليه السلام (الزمخشري، 2003: 162)، وإذا كان الأسباط هم الأحفاد (الزمخشري، 2003: 194)، فجميعهم، على ذلك، ينحدرون من قبيلة واحدة، هي بني إسرائيل، وفي المعنى نفسه، يأتي قوله: " قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن قَبْلِهِ مِن سَبِيلٍ وَأَنزَلَ إِلَيْنَا الْكِتَابَ وَالْحَقَّ يَدْعُونَ بِهِ الْيَوْمَ بِآيَاتِنَا " (البقرة: 136).

على أية حال، فإن الأسباط هم الذراري، وما بينهما علاقة ترادف، لكن فائض المعنى في الأسباط هو ذلك المعنى الطبقي الاجتماعي لبني إسرائيل، وعلى ذلك لا يشير اللفظ إلا إلى ذراريهم، في حين إن الذرية تطلق عليهم وعلى غيرهم من بني البشر.

الفصيلة:

والفصيلة أصغر من الفخذ (الزمخشري، 2003: 598)، وجاءت في قوله تعالى: " وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ " (المعارج: 13)، قال الزمخشري عن الفصيلة: إنها "عشيرته الأذنون الذين فصل عنهم" (الزمخشري، 2003: 598).

القبيلة:

وجاءت في قوله عز وجل: " وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا " (الحجرات: 13)، والقبيلة الوحدة القرابية الأصغر من الشعب، فالشعب ليس إلا مجموعة من القبائل (الزمخشري، 2003: 364-365)، وللقبيلة غير رديف، كما في:

العشيرة:

وجاء ذكرها في قوله تعالى: " وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ " (المجادلة: 22)، وفي قوله: " قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ " (التوبة: 24). أما في قوله: " وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ " (الشعراء: 214)، فجاء في الكشاف أنه (ص) "صعد الصفا، فنأدى الأقرب فالأقرب، فخذاً فخذاً، وقال: يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس " عم النبي " يا صافية (الزمخشري، 2003: 328)، وبذا تنطوي العشيرة على غير فخذ.

آل:

ويدل على ما تدل عليه القبيلة، وجاء اللفظ في قوله: " وَيُبْنِ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ " (يوسف: 6)، وفي: " فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ " (النساء: 54)، وفي قوله: " وَبَقِيَّةً مِمَّا تَرَكَ آلَ مُوسَى وَآلَ هَارُونَ " (البقرة: 248).

قال الزمخشري: الأصل في "آل": أهل، ولذا فإن تصغير الآل يجيء على أهيل، إذ أبدلت هاؤه ألفاً، و"آل"، لا تدل إلا على "أصحاب الخطر وذوي الشأن والمكانة، وعليه، يقال: آل فرعون وآل موسى وآل النبي وآل الملك، ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام، ولكن أهلهما" (الزمخشري، 2003: 140).
إن ما يكشف عنه النص الموازي يمكن إجماله في ما هو آت:

- ثمة قرابة لغوية بين "آل" و"أهل"، وهي قرابة تتخالف في تفسيرها وما بسطه الزمخشري، أعلاه، إذ هو يتصور أن الألف جاءت مكان الهاء، وذلك خضوعاً منه لوهم الكتابة، إذ يُظهر المكتوب حذفاً للهاء وحلول الألف مكانها: أهل ← آل، وأما النظر الصوتي وفق ما تكشف عنه الكتابة الصوتية فبيّن:

$$\begin{aligned} \text{ahl} &\rightarrow \text{aal} \\ \text{h} &\rightarrow \phi \\ \text{a} &\rightarrow \text{aa} \end{aligned}$$

فقد حذف الهاء وهي صوت حنجري صامت (أبو الهيجاء، 2006: 2؛ الخولي، 1990: 117)، وتعويضاً عن حذفها مطلت الحركة القصيرة (a) إلى حركة طويلة (aa).
- لكن القرابة اللغوية بين اللفظين لم تقض إلى قرابة اجتماعية، فبالرغم من الدلالة المشتركة على القبلية، إلا أن فائض المعنى في "آل" يحصرها في الدلالة على الطبقة العليا، في حين يدل اللفظ "أهل" على الطبقة الدنيا من العائلات المشتغلة بالحرفة والصناعة، وعليه، فالفارق بين اللفظين فارق طبقي اجتماعي، وإنه ليصح أن يقال إن ما يربط الأهل بالآل علاقة تضاد اجتماعي لا لغوي.

- الأهل:

للأهل في لغة النص الشريف غير دلالة، منها ما هو قرابي، ومنها ما ليس كذلك، أما ما جاء بدلالة القرابة، وهو موطن الاهتمام في الدراسة الحالية، فيمثله قوله تعالى: " شَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا " (الفتح: 11)، فقد انشغل أولئك بأسرهم (الزمخشري، 2003: 327)، ومنه: " فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا " (النساء: 35)، والأهل، ثمة، هم الأقارب (الزمخشري، 2003: 498)، ومنه قوله: " وَكَانَ يَأْمُرُ

أَهْلُهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ" (مريم: 55)، لأن "الأقارب والعشيرة أولى بالإحسان الديني" (الزمخشري، 2003: 22).

- القوم:

وأشار اللفظ للقبيلة في قوله تعالى: "وَابْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ" (العنكبوت: 16)، وفي قوله: "مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْ طُغِيَ مِنْكُمْ بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَسِيبي كَمَا نَسَيْتُمْ نَسِيبي يَوْمَئِذٍ نَخْتَلِعُ مِنْكُمْ بَلْ أَنْتُمْ حَرَابٌ مُذْتَلِبِينَ يُنَادِيهِمْ لَيْسَ آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَمْ يُغْنِي عَنْهُمُ آلِهَتُهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ غَدِيرٌ" (هود: 89).
على أية حال، فإن علاقة الترادف هي ما يربط دلالياً بين الألفاظ القرابية الجمعية: القبيلة والعشيرة والآل والأهل والفصيصة والذرية والأسباط والقوم، لكن الترادف هنا ليس مطلقاً، بل نسبي، ففي كل لفظ من الألفاظ، أعلاه، معنى حاف يفرقه عن غيره.

* نتائج الدراسة:

- تمتلك النظريات والنماذج والتصورات اللسانية كفاية وصفية وتفسيرية، تقدرها على وصف وتفسير ألفاظ القرابة في العربية.
- تعد ألفاظ القرابة في العربية حقلاً دلاليًا مستقلاً، وهو بنية لغوية وثقافية محكمة الإغلاق، تحكمها غير علاقة دلالية كعلاقات الترادف والاشتغال والتضاد والتناظر والجزء بالكل.
- تخضع الألفاظ القرابية في ترتيب ورودها في النصوص العربية إلى قانونين: قانون القبيلة، وقانون الجندر، فأقارب الأب لهم التقديم على أقارب الأم، بغض النظر عن الجندر، أما الترتيب الداخلي لأقارب الأب أو أقارب الأم، كل على حدة، فيخضع لقانون الجندر فيأتي بالذکر قبل الأنثى.
- تقدرنا التصورات اللسانية حول علاقة اللغة بالثقافة والمجتمع على تفسير كثير من الألفاظ القرابية في مواضع ورودها.

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أنيس، إبراهيم وآخرون (1960)، المعجم الوسيط، ط2، القاهرة.
- ابن جنى، أبو الفتح (1990)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط4، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.
- أبو عيد، محمد (2010)، ذكوة اللغة الشارحة في كتابات علماء العربية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، المجلد 6، العدد، كانون ثاني، ص231-242.
- أبو الهيجاء، خلدون (2006)، فيزياء الصوت اللغوي ووضوحه السمعي، ط1، إربد، عالم الكتب الحديث.
- بشر، كمال محمد (1995)، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة، ط1، القاهرة، دار غريب.
- الحسن، شاهر، (2001)، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، ط1، عمان، دار الفكر.
- الخولي، محمد علي (1990)، الأصوات اللغوية، النظام الصوتي للغة العربية، ط1، عمان، دار الفلاح.
- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (1987)، تحقيق: عبد الحليم الطحاوي، ط2، الكويت، مطبعة حكومة الكويت.
- زكي، كريم (2000)، اللغة والثقافة، ط2، القاهرة، كتب عربية.
- الزمخشري، أبو القاسم (2003)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط3، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية.
- سعيد، محمد (2002)، في علم الدلالة، ط1، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.
- سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان، الكتاب، ط2، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي.
- شتا، السيد علي (1998)، علم الاجتماع اللغوي، ط1، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.
- عمر، أحمد مختار (2009)، علم الدلالة، ط1، القاهرة، عالم الكتب.
- الغدامي، عبد الله (1997)، المرأة واللغة، ط2، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

- غلفان، مصطفى، (2010)، في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، ط1، بيروت، دار الكتب الجديدة المتحدة.
- فاسولد، رالف، علم اللغة الاجتماعي للمجتمع، ط1، ترجمة: إبراهيم بن صلاح، الرياض، جامعة الملك سعود.
- لوكمان، توماس (1987)، علم اجتماع اللغة، ط1، ترجمة: أبو بكر أحمد باقادر، جدة، النادي الأدبي الثقافي، دار البلاد.
- لويس م.م. (1959)، اللغة في المجتمع، ط1، ترجمة: د. تمام حسان، دار إحياء الكتب العربية.
- هدرن (1987)، علم اللغة الاجتماعي، ط1، ترجمة: د. محمد عبد الغني عياد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.